الوضعية الحالية للفلسفة

ومهمات معهد البحث الاجتماعي* (1931) **

عصام موخلي/ باحث من المغرب*

تمهيد

ساهمت مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تغيير البنى الفكرية في أوروبا بشكل عام، وألمانيا بشكل خاص. فظهور "معهد الأبحاث الاجتماعية l'institut des recherches sociales" 1923م المنبثق من حلقات النقاش الماركسي بمدينة فرانكفورت بألمانيا بزعامة الماركسي كارل غرونبرغ أكبر دليل على هذا التحول، بحيث كان هدفه – كما يشير الدارسون – في البداية تعبيد الطريق أمام البحث النظري للمساهمة في الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. بالإضافة إلى الشرط التاريخي، هناك عامل متعلق بطبيعة الفكر ذاته وكيفية تلاقحه في مواكبته لمستجدات العصر المستحدثة. أمر كهذا، لا يمكن أن تخطئه العين عند رواد هذه المدرسة، الذين استفادوا من إرث ثقافي نقدي عميق في تجذره في البنى الفكرية للمجتمع الألماني المتجسد في فلسفة هيجل وماركس ولوكاتش ونيتشه بالإضافة إلى فرويد، نتكلم على الأقل عن التأثيرات الواضحة لهؤلاء على النظرية النقدية في مرحلتيها الفكرتين.

مع تولي ماكس هوركهايمر إدارة المعهد 1930م، غير توجهه الماركسي البارز ليركز على علم الاجتماع والفلسفة بدلا من التاريخ والاقتصاد السياسي اللذين اشتغلا بهما المعهد لمدة عقد تقريبا، بحيث طور أبحاثا بغرض تجديد الماركسية. اهتم المعهد في تلك الفترة بعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي من أجل فهم الوعي

---

* - "Die gegenwärtige lage der Sozialphilosophie und die Aufgaben eines Instituts fur Sozialforschung", in Sozialphosophische studien, Frankfurt am Main, Fscher,1972. Traduit de l'allemand par Gérard coffin, Olivier Masson et joelle Masson.

**- – أخذ المقال المترجم من كتاب؛

Théorie critique, Max Horkheimer, Traduit de l'allemand par Groupe de traduction du Collège de philo, L. Ferry et A. Renaut..., Editions Payot, Paris, 2009.

يضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي نشرت أول الأمر في مجلة المعهد Zeitschrift FÜR Sozialforschung في مرحلة 1930-1940؛ من قبيل النظرية التقليدية والنظرية النقدية، المادية والأخلاق، العقلانية في الفلسفة المعاصر، الدولة الاستبدادية... قمنا بالمحاولة ترجمه نص هذا الخطاب نظرا لأهميته في سياق تشكل الرؤية النقدية المدرسة النقدية لما بعد غورنبرغ.

*- طالب باحث من المغرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي بدأ يميل صوب ممارسات اجتماعية جديد تحتاج في تقديره إلى أكثر من علم ماركسي من أجل تحليلها وفهمها. هذا الأمر؛ يمكن أن يظهر بوضوح في الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه هوركهايمر في بناية المعهد بفرانكفورت بحضور جل أعضاء المعهد باستثناء كارل غورنبرغ المتوفى مؤخرا, الذي أشار إليه الشاب هوركهايمر بكثير من الاحترام.

نشر هذا المقال في كتاب ماركس هوركهايمر الموسوم بالنظرية النقدية الذي ضم العديد من مقالاته. وفيه يظهر ذلك التحليل الرصين الذي قدمه ماكس هوركهايمر لتاريخ المثالية الألمانية الممثلة في شخص كانط وهيغل؛ من حيث أنها تمثل الموطئ الأول الذي يسم مهمة الفلسفة الاجتماعية التي نادى بها كمنهج وكرؤية للواقع الحديث.

النص؛"إذا كانت الفلسفة الاجتماعية توجد في صميم الاهتمام الفلسفي العام، فهي ليست بدرجة أفضل وضعية من جل المجهودات الفلسفية، والفكرية الرئيسية المعاصرة. لا يمكن أن نجد لها تحديدا تصوريا بناءا بدرجة كافية لكي نطمع أن نفرض التزاما ما. بما أن الحالة العلمية الحالية، حيث الوظائف التقليدية للتخصصات محط نظر فيها، وبما أننا لا زلنا نجهل كيف ستتجلى في مستقبل قريب، لا يبدو من الصائب أن نحاول إعطاء تعاريف حاسمة لمجالات البحث. يمكننا على الأقل أن نستعرض بإيجاز التمثلات العامة المنجزة حول موضوع الفلسفة الاجتماعية. بحسبها الهدف الأخير هو التأويل الفلسفي لقدر الناس من حيث كونهم ليسوا أفرادا عاديين، لكن أعضاء جماعة. يجب عليها أن تهتم أولا وقبل كل شيء ببعض الظواهر التي لا يمكن أن تفهم إلا بربطها مع الحياة الاجتماعية للناس: للدولة ، للحق، للاقتصاد، للدين، باختصار بشروط عامة مادية وروحية للثقافة الإنسانية في مجملها.

تفهم الفلسفة الاجتماعية من حيث كونها قد أصبحت تدريجيا عبر تاريخ المثالية الكلاسيكية الألمانية مهمة الفلسفية الحاسمة. وانجازاتها الأكثر نجاحا هي في نفس الوقت الأجزاء الأكثر فعالية للنظام الهيغلي. ليس لأن الفلسفة قبل هيغل Hegel لم تكن مرتبطة بمواضيع الفلسفة الاجتماعية: المؤلفات البارزة لكانط Kant تحتوي على نظريات فلسفة العلم. الحق، والفن والدين. لكن هذه الفلسفة الاجتماعية قد أسست على فلسفة الشخصية الخاصة: جهات الكائن هاته كانت تساوي مشاريع للشخص المستقل. جعل كانط من الوحدة المغلقة للموضوع العقلاني المصدر الوحيد للمبادئ التكوينية لكل مجال ثقافي. الجوهر L'essence وتمفصل الثقافة لا يجب أن يصبحا غير مفهومين إلا بواسطة حركية الشخص، من خلال أشكال الفعل الناتجة عن الأنا التلقائي l'ego spontané. بالرغم من أن، وجهة نظر الفلسفة الكانطية، للموضوع المستقل ليس بالضرورة أن يمزج مع الإنسان التجريبي الخاص، يمكننا على الأقل أن نبحث، داخل روح l'esprit كل كائن عاقل خاص، عن كل العوامل الخلاقة للثقافة. لا يوجد بنيات للكائن الشامل غير منتمية إلا إلى كل ما يتعدى الشخص transpersonnel والتي من المحتمل أن تكشف داخل الكلية الاجتماعية والتي يجب أن نخضع إليها؛ تأكيد هذه البنيات يجب أن يؤخذ لأجل الدوغمائية والنشاط الذي يستند إليهما من أجل أن يتلقى قانونه من الخارج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليس من داخله hétéronome. في " الأسس الميتافيزيقية الأولى لمذهب الحق" يقال بخصوص الشخصية الأخلاقية بأن الشخص غير خاضع لأي قانون آخر غير ذلك الذي يعطيه لنفسه (أو لوحده، أو على الأقل في نفس الوقت مع الآخرين[1]).

بلورت المثالية المرتبطة بكانط تداخل العقل المستقل والكائن التجريبي الخاص. التوتر بين الإنسان المتناه والأنا بصفته وجود غير متناه يتجلى في الواقع أيضا في الفلسفة الأولى لفيتشه Fichte، في فلسفة التأمل التي توجه انطلاقا من الأنا Ego. الواجب الأبدي Le devoir éternel، الحض على تلبية تحديداتنا الإنسانية ينبثق من أعماق الذاتية. الوسيط الفلسفي يبقى دائما فهم الذات. لكن هيغل قد حرر فهم للذات، هذا، من عائق الاستبطان introspection وقد أحال مسألة جوهرنا الخاص، مسألة الذات المستقلة الخالقة للثقافة، إلى عمل التاريخ حيث هذا الجوهر يكسب شكلا موضوعيا.

بالنسبة إلى هيغل، بنية الروح الموضوعية l'esprit objectif التي تحقق في التاريخ محتويات الثقافية للروح المطلقة، بمعنى الفن، الدين، الفلسفة، لا تنال من خلال التحليل النقدي للشخصية، ولكن من خلال المنطلق الجدلي الكوني dialectique universelle؛ التطور ومؤلفات الروح الموضوعية لا تنبثق قط من قرارات حرة للذات لكن من روح الشعوب المهيمنة، كما تتناوب في معارك التاريخ. حتمية الخاص particulier تتم في قدر الكون؛ الجوهر، المحتوي الماهوي substantiel للشخص لا يظهر نشاطاته الشخصية لكن في حياة الكل، التي ينتمي إليها. هكذا مع هيغل المثالية أصبحت أجزاءها الأساسية فلسفة اجتماعية. الفهم الفلسفي للكل الذي فيه نعيش والذي هو مرتع لخلق الثقافة المطلقة، هو الآن بدفعة واحدة اعتراف بمعنى كياننا الخالص في قيمته الحقيقية وفي محتواه الواقعي.

اسمحوا لي أن أتوقف للحظة عند وجهة النظر الهيغيلية. إنه من خلال تفكك واستحالة استعادتها كفكرة بدون الرجوع إلى وراء الوضع الحالي للمعرفة، يمكننا فهمها في مبدأ وضعية الفلسفة الاجتماعية. نسب هيغل تحقيق غاية العقل إلى الروح الموضوعية، وفي نهاية المطاف روح العالم؛ تطور هذه الروح يظهر في مواجهة "الأفكار الواقعية idées concrètes"، و"أرواح الشعوب "؛ انطلاقا منها تتولد بتتابع ضروري مملكات التاريخ العالمي: هم شهود وتجميلات لجلالاتها[2]. وهذا التطور يتحقق، أن الأفراد في أنشطتهم التاريخية يعلمون ويريدون أو لا يريدون ولا يعلمون. له قانونه الخاص. مع ذلك هيغل كقرن الأنوار في فرنسا والتوجه الليبرالي libéralisme الانجليزي اعترف بشكل تام بالمصالح الخاصة، الاندفاعات وأهواء الأشخاص كقوة مادية حقيقية. حتى العظماء تتحكم في

[1] -Kant, Sämtliche Werke, Werke, Akademie Ausgabe, tVI, p. 223; trad. fr. Doctrine du droit, Pris, vrin, 1971, p. 98.

[2] -Hegel, Grundlinien der Philosophie des Rechts,P.352; trad. fr Principes de la philosophie du droit, Pris, vrin, 1975, p. 338.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أفعالهم العوامل الشخصية. "هؤلاء الأفراد يلبون حاجاتهم لأنفسهم؛ ولا يعلمون على تلبية حاجيات الآخرين[3]." بالتأكيد هم " في عالمهم أكثر إلماما ويعلمون جيدا ما يجب أن يفعلون؛ وما يفعلون إلا الصائب[4]." لكن لم ينتج شيئا في التاريخ "بدون مصلحة أولئك الذين كانوا يشاركون فيه بنشاط"[5]. قانون التطور العقلاني يخدم بطبيعة الحال "بخدعة" مصالح العظماء والحشد من أجل أن ينتصروا. هناك مسلسل حيوي للمجتمع المعاصر كما يشرح هيغل، بشكل مباشر، التاريخ القديم بهذا القانون، لكن فورا بواسطة صراع المصالح. بإشارته إلى الاقتصاديين الأحرار سميث smith، ساي say وريكاردو Ricardo، يعرض كيف انطلاقا من" تفشي الاعـــتباط pullulement de l'arbitraire[6]" الذي يتولد من مجهود الخواص من أجل إرضاء حاجاتهم، الكل محفوظ. " في المجتمع المدني –كما هو مذكور في فلسفة الحق – لكل واحد في ذاته هدفه الخاص، والباقي لا يعني شيء بالنسبة له. لكن بدون علاقة مع الآخرين لا يستطيع تحقيق هذه الأهداف في مداها: ولهذا هؤلاء الآخرين هم وسيلة لهدف الخاص. على الأقل، في ارتباطه مع الآخرين، هدف الخاص يعطي شكل الشمولية ويتحقق بتحققه في آن معا في خير الآخرين"[7]. هكذا فقط، حسب هيغل، تحفظ الدولة وتصان: وتحدد بشكل مباشر عن طريق تضارب مصالح المجتمع.

لكن إذا كان التاريخ والدولة في تخارجهما منبثقان من " تفشي الاعتباط"، إذا كان المؤرخ التجريبي empirique عليه أن يعمد إلى تسلسل المعاناة والموت، السذاجة والعار، إذا كان الوجود متناهي مظلم في أعمال لا توصف، إذا كان التاريخ حسب هيغل قد يعتبر كـ"المذبح الذي فيه نضحي بسعادة الشعوب، حكمة الدولة وفضيلة الأفراد"[8]، الفلسفة ترفعنا، فوق وجهة نظر الملاحظ التجريبي. لأن " ما نقصده عادة بالحقيقة"– مثلما يعلمه في **دروس حول فلسفة التاريخ** les Leçons sur la philosophie de l'histoire–" يعتبر من طرف الفلسفة وجهه نظرة كسولة تستطيع أن تخلق أوهاما فقط، لكن ليست واقعا في حد ذاته ولأجل ذاته. هذا الفهم compréhension يحتوي ما يمكن تسميته العزاء ضد تمثل المأساة المطلقة، للحمق ولما وقع. وهذا العزاء ما هو إلا مسكن للشر الذي ما كان عليه أن ينتج والتي لها إقامة في المتناهي. الفلسفة ليست عزاء؛ هي أكثر من ذلك، إنها تصالح، إنها تغير مظهر الواقع transfigure الذي يبدو ظالما بشكل عقلاني، تقدمه

---

[3] - Hegel, Vorlesungen über die Philosophie der weltgeschichte, leipzig, Pris, G. Lasson, 1920, t.I, p. 77; La raison dans l'histoire, Pris, Plon-U.G.E., coll." 10-18".1965, p. 123

[4] - Ibid., P. 76; fr.P.122

[5] - Ibid ., Passim

[6]-Hegel, Grundlinien der Philosophie des rechts,§ 189, additif; trad. fr.Principes de la philosophie du droit, Pris, vrin, 1975, P.220

[7] - Ibid. ,§189 , additif ; trad. fr. vrin, p. 215.

[8] - Hegel, vorlesungen über die philosophie der weltgeschichte, op. cit., cit., p. 58; trad.fr.p.103

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما هو، كما هو مؤسس في الفكرة ذاتها وتبين كيف يجب على العقل أن يكون راضيا[9]." هذا "التغيير في الواقع" بالنسبة لهيغل يتم انطلاقا من مذهب الذي من خلاله الجوهر الحقيقي للإنسان لا يكمن في الداخل البسيط ولا في القدر الحقيقي للفرد المتناه، لكن على العكس يثبت في حياة الناس ويتحقق في الدولة. أمام فكرة التي للتاريخ العالمي هذا الجوهر الأساسي، الفكرة l'idée، تحفظ، الانحطاط الخاص يظهر بدون ثقل فلسفي؛ أكثر من هذا الفيلسوف يمكن أن يصرح: " الخاص في معظم الأحيان يتقيد أمام كل ما هو شمولي؛ الأفراد هم خاضعين ويضحى بهم. ليس بشكل مباشرة على أن الفكرة تشيد الوجود وكل ما هو زائل لكن عن طريق معاناة الأفراد[10]." إنه فقط في إطار أن الفرد يكون له حصة في الكل الذي يعيش فيه – أو أكثر من هذا: إنه فقط في إطار أن يعيش الكل في الفرد حينها تكون للفرد حقيقته؛ ولأن حياة الكل هي حياة الروح. الكل بامتياز هو الدولة. إنه "لا يوجد من أجل المواطنين؛ يمكننا القول إن هو الغاية وهم وسائله[11]."

حسب هيغل، الجوهر الخاص المحدود لا يمكنه أن يصل إلى الوعي التصوري للحرية في الدولة إلا من خلال تخمينات مثالية Idéaliste. إن في هذه الوظيفة الوسيطية médiatrice حيث كان يرى أساس عطاء فلسفته وأبعد من ذلك، عطاء الفلسفة عموما. بالنسبة إليه فهي متطابقة مع تغيير الواقع " الذي يبدو ظالما". حينما كان في ألمانيا، نحو أواسط القرن الأخير، سمو نظامه يزول، ميتافيزيقا الروح الموضوعية كانت متفككة في المجتمع الفرداني المتفائل بواسطة الاعتقاد المباشر إزاء التناسق المتواجد سابقا من خلال المصالح الخاصة. كان يبدو بأن من أجل الوساطة بين الوجود التجريبي الخاص والوعي بحريته داخل الكل الاجتماعي، لم تكن لحاجة إلى أية فلسفة لكن ببساطة تطور خطي في الوعي الايجابي، التقنية والصناعة. لكن عبر خيبة الأمل متنامية، إن الميتافيزيقا المحتقرة هي التي انتقمت. مع هدر القناعة الفلسفية التي بحسبها يوجد في المحتمل الفكرة الإلهية المتواجدة في كل حقيقتها الواقعية، الفرد يستشعر العالم كـ" الزخم الاعتباطي " ويستشعر نفسه ببساطة كـ " ضريبة الوجود والزوال" النظرة المتشائمة حول ما هو خاص وقريب لم يكن باستطاعته أن يكشف وراء الإرادة الخاصة المتنازعة، في الحاجة المتولدة بدون توقف، في بشاعة الحياة اليومية وفي بشاعة التاريخ، ليس هناك خدعة يستعملها العقل؛ إذن، الخصم الأكبر لهيغل، كان هو شوبهاور Schopenhauer، الذي قام بامتحان شفقي لفلسفة ميعبة. متشائمة وضد التاريخ.

القناعة التي، لكل واحد حسب انتماءه إلى وحدة تاريخية معينة التي قوانينها الخاصة وحيث الجدلية تكون تاريخ العالم، تساهم في الحياة الأبدية للروح. هذا التمثل الذي يحرر ما هو خاص من القيد البشع للمستقبل والمرحلة الانتقالية، قد اختفى مع المثالية الموضوعية. المعاناة وموت الأفراد كانا يهددان أن يبدوان في عبثهما المجرد، حقائق

[9] -Ibid., p.55 ; trad.fr.p.100-101

[10] - Ibid., p. 83 ; trad. fr. p. 129

[11] -Ibid ., p.91 ; trad.fr.p.137

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخيرة لحقبة كانت تؤمن بالحقائق. مع تعميق التضاد بين مبدأ شكل الحياة الفردانية، بمعنى بين التطور المستمر نحو السعادة الفردانية بداخل الإطار الاجتماعي الممنوح من جهة، والمنظورات الحقيقية للأفراد من جهة أخرى، الفلسفة ولاسيما الفلسفة الاجتماعية قد تم النداء عليها بشكل استعجالي لكي تلعب من جديد الدور البارز الذي منحه إياها هيغل– الفلسفة الاجتماعية استجابت لهذا النداء.

منذ النظرية الحذرة للكانطية الجديدة néokantisme لماربورغ Marbourg، التي بحسبها أن الإنسان ليس بفرد بسيط لكنه يفهم في " مختلف الأبعاد (...) بانتظام" وينجز " فقط في جميع (...) نطاقات وجوده[12]"، إلى غاية النظريات الفلسفية المعاصرة التي بحسبها –كما هو الشأن بالنسبة لهيغل– الوجود الإنساني لا ينال عناه إلا في الوحدات تتعدى الأشخاص للتاريخ، سواء كانت الطبقة الاجتماعية، الدولة، أو الأمة عند هرمان كوهن Hermann cohen إلى غاية أوثمار سبن Othmar spann، الفلسفة التي أنتجت في العقود الأخيرة الأصناف الأكثر تنوعا للأنظمة الفلسفية الاجتماعية. حتى المحاولات الأخيرة المعارضة للتيار الوضعي Positivisme قدمت فلسفة أخلاقية وفلسفة الحق، فهي تقريبا متوافقة في جهودها من اجل استخراج ميدانيا معطيات من أجل التطبيق، جهة الكائن السامية والمستقلة، هي على الأقل جهة تقيم الحكم أو الواجب، جهة حيث كان يشارك فيها الناس الزائلون، لكن هي في حد ذاتها لا تستطيع أن تجلب معطيات طبيعية. إذن فهي توجهنا نحو فلسفة جديدة للروح الموضوعية. إذا كان المذهب النسبي والفرداني للحق كليسن Kelsen يحمل في طياته مثل هذه السمات، التركيز الذي يحسبه الجوهر" إعدادات الحق"، مثلا بمعرفة الملكية، الالتزام، المطالبة القانونية، إلخ.، سيكون قابل لتصوره مثل " هدف" مميز يعني الكثير بالنسبة للفلسفة الصورية لقيم المدرسة الألمانية للجنوب الغربي école allemande du sud-ouest وذلك حتى بالنسبة للنظرية الفينومينولوجية phénoménologique لأدولف ريناغ Adolf Reinach .

للأخلاق " المادية" لشيلر، مذهبه الخاص بالكائن، في حد ذاته، بالقيم وجد مؤخرا ممثله البارز، نكولاي هارتمان Nicolai Hartmann، الرابط الواعي مع فلسفة الروح الموضوعية. شيلر، قبل ظهور الأخلاق هرتمان، كان قد وعض بمذهب روح الشعوب[13].

يبدو مشتركا عند كل هذه المشاريع الفلسفة الاجتماعية المعاصرة أنها تفتح للجوهر الإنساني الخاص رؤية حول فضاء ما يتعدى الشخصية الذي من المحتمل أن يكون أساسيا، أكثر دلالة، أكثر جوهرية من الوجود الإنساني. فهي تلتقي مع مهمة تغيير مظهر الواقع المشار إليها من طرف هيغل. لهذا، في المؤلف الوحيد للفلسفة الحديثة الذي يرفض جذريا أن تكون فلسفة اجتماعية والتي تستكشف الكائن الأصيل فقط في داخل الوجود الإنساني

[12] - Hermann Cohen, Ethik des reinen Willens, 3 édition, Berlin, 1921, p.8.

[13] -Max scheler, Probleme einer soziologie des wissens, in versuche zu einer soziologie des wissens, munich et leipzig, 1924, p. 13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاص، في كتاب؛ الكائن أو الزمن L'Etre et Temps لهايدغر Heidegger، القلق يحتل مكان مركزيا. الفلسفة الوجود الخاص، في محتواها الضيق، لا تغير الواقع بالمعنى هيغيلي. هنا الكائن البشري ليس إلا كائن من أجل الموت، حتمية صرفة؛ إنها هنا فلسفة عاجزة. إذا كان مسموح لنا أن نفسر هنا بشكل موجز، يمكننا أن نؤكد بأن الفلسفة الاجتماعية تأتي اليوم لترتقي برغبة في إعطاء معنى جديد للحياة المرتبطة في سيرورتها نحو السعادة الفردانية. الفلسفة الاجتماعية تبدو أنها تنطلق من المجهودات الفلسفية والدينية من أجل إرجاع الوجود الجزئي الخاص للمنظورات في الحضن أو – كما يقال سومبارت Sombart– في " الأرض الذهبية" (Goldgrund) للكليات الدلالة.

على الأقل، سيداتي سادتي، بأخذ بعين الاعتبار وضعية الفلسفة الاجتماعية هاته، يسمح لنا الآن بأن نشخص عيوبها. الفلسفة الاجتماعية المعاصرة، كما رأينا سابقا، تتخذ موقفا جدلي، بشكل عام، نحو التيار الوضعي. هذا الأخير لا يمكنه من المحتمل أن يرى إلا ما هو خاص، هكذا في المجال الاجتماعي لا يرى سوى الفرد والعلاقات بين الأفراد؛ كل شيء بالنسبة إليه يستنزف في أحداث معينة. الفلسفة الاجتماعية لا تشكل في الأحداث الخاصة التي يمكن أن نضعها بواسطة وسائل العلم التحليلي analytique؛ ولكنها تعارضها بشكل بناء نوعا ما، أكثر أو أقل، " متفلسفة "، " الأفكار"، الجواهر، الكليات، الفضاءات المستقلة للروح الموضوعية، الوحدات الدلالة، أرواح الشعوب كالكثير من الجوانب الأصلية و" الأكثر أصالة" للكائن. الاكتشاف في التيار الوضعي لبعض الفرضيات الميتافيزيقية غير المستدل عليها تخول لها بدون أي تدقيق، برهنة من اجل إضافتها إليها. يحدث، على سبيل المثال، ضد مدرسة Vilfredo Pareto، التي، بسبب تصورها الوضعي للحقيقة، يجب أن تنكر وجود طبقة، للأمم، للإنسانية، وجهات نظر متعددة التي من خلالها مثل هذا الوجود المؤكد، يبدو لنا كنظرة "أخرى" للعالم، وميتافيزيقا "أخرى" أو وعي "آخر"، بدون أن يكون من محتمل في النهاية أن تقرر بشكل واقعي. يمكن أن يقال أنه يوجد مجموعة من المفاهيم للحقيقة، من المحتمل أن تدرس نشأتها، وأن تمتحن إلى أي حالة مزاجية وإلى أي حشد يتطابقون معه، ولكن ليس هناك أي سيطرة مؤسسة بشكل موضوعي.

لكن فقط، في هذه الوضعية الصعبة للفلسفة الاجتماعية التحدث بشكل بحت نظري، أطروحي thétique واعترافي، عن موضوعها والحياة الثقافية للإنسان، في صعوبة تمييز المذاهب الاجتماعية لأوغيست كونت August Comte، كارل ماركس Karl Marx، ماكس فيبر Max weber، ماكس شيلر Max scheler أو بالأحرى كمهنة إيمانية كما أن نظرية صحيحة، خاطئة أو للحظة هي أيضا إشكال، في هذه الصعوبة نشاهد العوز الذي يجب أن يتجاوز. بطبيعة الحال، الحضور الآني ومصداقية مختلف تصورات الحقيقة هي مميزات الوضعية الروحية المعاصرة. لكن هذا الاختلاف له علاقة في كل لحظة مع مختلف مجالات العلوم ومختلف فضاءات الحياة. هكذا الأصناف المعرفية للفلسفة والفيزياء يمكنها أن تحاول اليوم أن تتميز إحداها عن الأخرى، لدرجة أن يصبح من الصعب أن ننسق بينهما؛ يبقى داخل الفيزياء في حد ذاتها، ماذا سوف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول؟، في داخل علوم الطبيعة غير العضوية بشكل عام، مثل هذا التيار لبناء تصورات غير متناسقة للحقيقة لا يوجد بشكل من الأشكال. أنه تماما العكس. إنه عمل في نطاق البحث الملموس حول موضوع الذي يشكل هنا ما هو تصحيحي.

إننا نوشك أن نرد بأن الفلسفة الاجتماعية ليست علما خاصا، وبأنها بالأحرى علم الاجتماع " مادي" الذي عندما يجب أن يفحص الأشكال المحدد لإمكانية التنشئة الاجتماعية نقول بأن هذه المادة تدرس مختلف الأشكال الملموسة التي يتخذها الناس للتعايش معها، كل أشكال الحياة المشتركة association: انطلاقا من الأسرة إلى غاية الدولة والإنسانية مرورا بالجماعات الاقتصادية والهيئات السياسية. نقول بأنه يوجد هنا إمكانية أن نحدد ذواتنا موضوعيا، كما هو الشأن بالنسبة لعلم الاقتصاد، لكن علم الاجتماع ليس لديه ما يقوله حول درجة الحقيقة ولا حول قيمة هذه الظواهر، إنه هنا بالعكس موضوع للفلسفة الاجتماعية وبأن في مثل المسائل الأساسية شأنها شأن تلك التي نحن بصدد معالجتها، يوجد هنا تحديد مواقف نهائية، لكن ليس اكتشاف الحقيقة التي من المحتمل أنها تدخلت خلال الامتحانات الممتدة والمتنوعة.

هذه الرؤية تستند إلى تصور لفلسفة التي لم تعد مدعمة. مهما تكن الحدود التي ترسم ما بين مختلف قطاعات العلم السوسيولوجي والفلسفة الاجتماعية، أعتقد بأنه من المحتمل أن يوجد هنا حتميا شيء كبير من العبثية. هناك أمر أكيد، إذا كان تفكير الفلسفة الاجتماعية حول العلاقة ما بين الفرد والمجتمع، حول معنى الثقافة، حول أصل المجتمع، حول البنية العامة للحياة الاجتماعية، بخلاصة حول المسائل المبدئية الكبرى، يجب إن صح القول أن يبقى داخل مستودع مشاكل العلم الاجتماعي، بعد هذه المسائل التي يمكن أن تقدمها في أبحاث ملموسة بعد أن تستخرج، إذن الفلسفة الاجتماعية يمكنها بالتأكيد أن تتكلف بوظائف اجتماعية، على سبيل المثال وظيفة تغيير مظهر الواقع تحديدا، لكن سينال ذلك من خصوبتها الفكرية. لا يجب للتأمل في العلاقة ما بين العلوم الفلسفية والعلوم العلمية الخاصة المطابقة، كما لو أن الفلسفة تعالج مشاكل حاسمة ومن هنا تبنى تدريجيا نظريات لا يمكن أن تهاجم من طرف العلم التجريبي، التصورات دقيقة للحقيقة، أنظمة شاملة للكل، إذن بالعكس في حين أن البحث التجريبي يستثمر أبحاثه الطويلة والمملة والتي تنقسم إلى حملة من المسائل الجزئية، لكي تضيع كليا داخل فوضى التدقيق. هذا التصور الذي بحسبه الباحث المتخصص يجب أن يعتبر الفلسفة مثل تمرين جميل ربما، لكنه تمرين عميق من وجهة نظر العلمية لأنه لا يمكن السيطرة عليه، الذي بحسبه عكس الفيلسوف يتحرر في علاقته مع الباحث المتخصص لأنه يشعر أنه لا يمكن الانتظار من أجل إقراراتها العظيمة، مثل هذا التصور تم تجاوزه اليوم عن طريق فكرة التطور بحيث دائما النظرية الفلسفية والتطبيق العلمي الدقيق في تشابك جدلي. العلاقات ما بين الفلسفة الطبيعية وعلم الطبيعة في كليته، كما هو الشأن بالنسبة أولئك الذين يتواجدون داخل المواد الخاصة للعلوم الطبيعية، يمنحون أمثلة جيدة على ذلك. ليس هدفي تكوين تركيبات سيئة انطلاقا من معطيات بحث متخصص، أنه يمكننا تجاوز فوضى التخصص وليس ذلك بمحاولة إقصاء العنصر النظري للتجريبية المحايدة؛ لكن بالعكس في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث أن الفلسفة بصفتها قصد نظري موجه نحو ما هو كوني، نحو "الأساسي" قادر على أن يعطي شحنات منعشة للأبحاث الخاصة وحيث أنها كذلك منفتحة على العالم لكن تتأثر وتتحول من خلال تطور الدراسات الملموسة.

لن نزيل النقص المشار إليه سابقا في وضعية الفلسفة الاجتماعية لا بواسطة فعل إيماني في أحد تأويلاته التي لا أقل ولا أكثر هي مكونة للحياة الثقافية، ولا بإعطاء معنى جديد للمجتمع، وللدولة، وللحق، إلخ. اليوم يتعلق الأمر بالأحرى، و، ليست بالتأكيد الوحيد الذي يظن هذا ، يتأسس حول قاعدة استقصاء فلسفي حالي للتحقيقات التي يساندها فلاسفة، علماء الاجتماع، اقتصاديون، مؤرخون، علماء النفس في نطاق مجتمع عامل مستديم، بهدف أن يشكلوا جميعا ما يمكن أن يفعله الفرد الواحد في مجالات أخرى، تقوم ما قام به سابقا الباحثون الأصيليون: أكثر تحديدا لمتابعة بواسطة المناهج العلمية الأكثر نضوجا للأسئلة الفلسفة الكبرى، أن يتم تحديد وتحويل المسائل استنادا إلى الموضوع خلال خبرة العمل، أن يتم إيجاد مناهج جديدة دون غض الطرف عما هو كوني. بهذه الطريقة لا نجيب بالإيجاب أو بالسلب عن المسائل الفلسفية، لكنها في حد ذاتها مدمجة جدليا في مسلسل العلم التجريبي، هذا يدل على أن إيجابتها تكمن في تطور المعرفة الموضوعية التي تؤثر حتى في شكلها، فيما يتعلق بالنظرية الاجتماعية، ليس بإمكان شخص منعزل أن يجعل على عاتقه مثل هذا السلوك: هي سواء على مستوى ثراء الوسائل أو على مستوى تنوع العلوم المساعدة الضرورية. حتى أن مثل ماكس شيلر بالرغم من مجهوداته الجبارة قد فشل في ذلك.

في هذه الوضعية، لدينا الحق في أن نعتبر كما هو مؤسس موضوعيا تحويل الكرسي في جامعتنا، التي هي في ارتباط مع معهد البحث الاجتماعي، كرسي الفلسفة الاجتماعية وتحوله إلى كلية الفلسفة. كارل غورنبرغ Carl Grunberg كان مؤهلا مع منصب تدريس علم محدد، الاقتصاد السياسي. مع مهمة جديدة، صعبة ومهمة لتثبيت جهاز كبير للبحث التجريبي، التي يمكن أن تخدم المشاكل الفلسفية الاجتماعية، أحسست أثناء تعييني بنوع من الإقصاء لا يمكن تجاوزه ما بين العالم الكبير الذي تم ذكر اسمه في كل أماكن العالم مع كثير من الاحترام وكثير من الامتنان، حيث أنه كانت هناك أعمال جارية منبثقة ميدانيا ، والشاب اليافع تقريبا غير معروف الذي كان يجب أن يصبح خلفه. مرضه الطويل كان في عداد الأمور الغريبة للحياة الفردية وضعت فشل تغيير مظهر الواقع الفلسفي. وفق لمصالحه الدقيقة والمتجذرة في التقليد لمدرسة التاريخ الاقتصادي، تكرس بشكل أساسي، داخل المعهد، في التاريخ الحركة العمالية. هكذا، وبفضل معارفه التي تضمنت الأدب العالمي بأسره المرتبط بالذات، التي كان من الممكن أن تجمع وثائق غنية، مكتبة متخصصة والوحيدة في العالم التي تملك 50000 مؤلف، مكتبة التي طلبتها من جامعتنا، مثلما عدد من العلماء الألمان والأجانب، كانوا يستخدمونها بشكل واسع. سلسلة من منشورات المعهد التي تم نشرها تحتوي بشكل حصري مؤلفات التي اعترف بها العلماء والبارزون من توجهات مختلفة كانجازات علمية فريدة من نوعها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أشرحه الآن، بعد مرض طويل للمدير، وجه أعمال المعهد نحو أعمال جديدة، استفيد ليس فقط من التجارب المتعاونون والثروات التي جمعها، لكن أيضا تقنين المعهد الذي أسس بشكل رئيسي من طرفه، هو الذي من خلاله المدير المعين من قبل الوزير خاضع كليا، "من جميع الجوانب... سواء من إدارة الدروس أو المؤسسين"و،كما كانت عادة غورنبرغ أن يقول؛" دكتاتورية المدير" فهي مستمرة على عكس نظام إعدادي. من هنا يمكنني استعمال تصوره و، على الأقل، في حدود ضعيفة جدا، يمكنني أن أشيد استبداد العمل المخطط على جهة التكوين الفلسفي وعلى التجربة في النظرية الاجتماعية. وأنه مع أخذنا بعين الاعتبار هذه الإمكانية التي هي مهمة بالنسبة للفلسفة التجريبية، ولا من أجل القيام ببحث تجريبي l'ancilla philosophiae، بصفتي فيلسوفا، في روح معلمنا هانس كورينليوس Hans Cornelius ، أجبت على طلب إدارة المعهد البحث هذا.

لكن الآن سيريد أكثر من واحد منكم معرفة وبالتدقيق كيف يمكن لهذه الأهداف أن تؤجرأ وكيف يجب علينا أن نتمثل انجازها التطبيقي، طبيعيا ليست من الممكن في الوقت الممنوح لي بأن أستفيض حول هذه النقطة كما يجب عليكم إعطاء فكرة تكوين موجهة لبرنامج العمل الذي اقترح المعهد انجازه. فقط، كخلاصة أريد أن أعطيكم كذلك مثال إمكانية تطبيق ما قد قلته الآن، وتأكيد ليس أي مثال متخيل بالنسبة للظرفية، لكن المثال الذي يجعل أكثر حدة القناعة المنهجية التي قمت بعرضها حول المشكل، الذي سوف يشكل الرباط الموجه للعمل الجماعي للمعهد في المستقبل القريب.

ليس فقط داخل الفلسفة الاجتماعية بالمعنى الدقيق، لكن أيضا في دوائر علم الاجتماع كما في دوائر الفلسفة العامة، حيث المناقشات حول المجتمع تمحورت تدريجيا وبشكل بارز حول مسألة غير فعالة في أيامنا فقط، لكن التي هي في نفس الوقت صياغة آلية لمشاكل فلسفة هامة وقديمة جدا، على سبيل الذكر حول مسألة الصلة بين الحياة الاقتصادية للمجتمع، والتطور النفسي للأفراد والتحولات في المناطق الثقافية بالمعنى الدقيق، لا ينتمي إليها فقط ما نسميه المحتويات الروحية للعلم، للفن والدين، لكن أيضا الحق، الأخلاق، الموضة، الرأي العام، الرياضة، وسائل الترفيه، نمط الحياة، إلخ. مشروع دراسة العلاقات ما بين هذه المسلسلات الثلاثة ليس إلا صياغة مناسبة للمناهج التي هي تحت تصرفنا والحالة الراهنة لفكرنا، والمسألة القديمة لعلاقة الوجود الخاص والعقل الشامل، بين الحقيقة والفكرة، الحياة والروح، التي ربطتها ببساطة مع مجموعة جديدة من المشاكل.

بالتأكيد، عادة التفكير حول هذه التيمة بشكل ميتافيزيقي، أحيل هنا إلى **سوسيولوجية المعرفة** لشيلر أو فرض بشكل أو آخر دغمائي بعض أطروحات عامة: وفي معظم الوقت تستحوذ عليها وذلك لتبسيطها على كونها أحدى النظريات الظاهرة في سياق التاريخ والتي نستعملها من أجل محاربة كل النظريات الأخرى مع البقاء دوغمائيا في العموميات. هكذا نقر على أن الاقتصاد والروح هما، كل على حدة، تعبير عن نفس المسألة الأساسية والوحيدة: كل ما هو الأمر في فلسفة سبينوزا. أو بالأحرى نقر بأن الأفكار والمحتويات الروحية تظهر في التاريخ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحدد النشاط الإنساني، الماهية الأولى، حيث الحياة المادية بالعكس من ذلك ثانوية وموجهة. نؤكد على أن العالم والتاريخ يتأسسان في الروح: هذا هيغل المجرد وبالتالي فهم بشكل خاطئ. أو نعتقد على العكس من ذلك على أن الاقتصاد بصفته مكونا للكائن المادي هو الحقيقة الفعلية الوحيدة، بأن النفس psyché الإنسانية، الشخصية، كما هو الشأن بالنسبة للحق، الفن، الفلسفة هم مشتقون من الاقتصاد دون أن يبقى منهم شيء: هم الانعكاس الصرف الاقتصاد؛ هذا بالنسبة لماركس المجرد وبالتالي يفهم بشكل خاطئ. بدون أخذ بعين الاعتبار أن هذه الأطروحات قد طرحت بشكل مطلق وبتمييز ساذج وغير نقدي، مهمل وإشكالي جدا بين الروح والواقع، تمييز غير متجاوز جدليا، مثل هذه التصريحات بكونها مأخوذة بعين الجدية داخل هذا التجريد، تنفلت أساسا من كل مراقبة: فمن السهل لها بأكملها من دون استثناءات أن تكون دائما على صواب. لأن عن قصد أو من دون قصد، فهم استمروا في اقتراح اتزان كلي بين المسلسلات الفكرية والمادية، وفي إهمال أو في تجاهل أيضا للدور المعقد للوسطاء النفسيين، حيث أن مثل هذه القناعات الدوغمائية تجد عادة نفسها محررة من الصعوبات العلمية الدقيقة للمشكل.

هذا يحدث بشكل مغاير حينما نطرح المسألة بشكل جدي دقيق: ما هي العلاقات التي يمكننا أن نؤسسها لمثل هاته مجموعة اجتماعية في أي حقبة وداخل بعض البلدان، بين دورها في المسلسل الاقتصادي، تحويل البنية النفسية لأعضائها الخاصين والأفكار و المعاهد التي تعمل في هاته البنية النفسية لتتناول شموليتها في الكلية الاجتماعية. والتي هي منتجة من طرفها. يتضح لنا الآن إمكانية إدخال أعمال حقيقية للبحث، التي يجب أن يباشرها المعهد. ونريد أولا تطبيقها على جماعة اجتماعية هامة بشكل خاص ومميزة، بمعنى على العمال المؤهلين والمستخدمين في ألمانيا ومتابعة ذلك مع الطبقات الاجتماعية المشابهة في البلدان الأوروبية المتطورة الأخرى.

لا يسعنا الوقت لإعطائكم ولو بشكل موجز ملخص وغير كاف الطرق الأساسية التي يجب على المنخرطين الدائمين في جماعة متناسقة أن يسلكوها. ولو لمجرد اكتساب في مرحلة أولى الوسائل التجريبية التي تسمح بدراسة العلاقات التي هي قيد المساءلة. في المرتبة الأولى، هناك بالتأكيد استغلال الإحصائيات المنشورة، لعلاقات المنظمات والجمعيات السياسية، وسائل الهيئات الجماعية، إلخ. لا يمكن أن توجد إلا داخل التحليل الدائم للوضعية الاقتصادية الكلية. أما فيما أبعد من ذلك، فهي تحتاج إلى فحص الصحافة والأدب السوسيولوجي والسيكولوجي، سواء على مستوى قيمة ملاحظاته حول وضعية الجماعات المدروسة نفسها، أو بسبب البنية الخصائصية لهذا الآداب التي تسمح له بأن يتصرف في أفراد هذه المجموعات. التي تشكل أنماط متنوعة من التحقيقات. إذن فهو بشكل خاص مهم جدا يمكننا أن ندخل مصالح أخرى لوضعيات مختلفة لنماذج استجوابيه لأبحاثنا، التي ستكون لها خدمات جليلة إذا لم نكن نريد سوى استنباط خلاصات سريعة. الاستجوابات، بالنسبة إلينا، أساسية من جهتين: أولا، يجب أن تعطوا دفعات للبحث وتجعله في علاقة دائمة مع الحياة الواقعية؛ ثانيا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المعارف المحصل عليها في مناطق أخرى وأن تنبه إلى الأخطاء. من أجل تفريغ مثل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الاستجوابات، البحث السوسيولوجي الأمريكي أنجز أعمال تمهيدية هامة تناولناها نحن أيضا والتي نريد متابعتها وفقا لأهدافنا. يجب علينا في ما بعد أن نستعمل في نطاق أوسع طريقة علاقات الخبرة. هنا حيث من الممكن تقديم أسئلة محددة بفضل تجارب نقاد أكفاء الذين لم يتم بعد استشارتهم بشكل دقيق، يجب علينا أن نلجأ إليهم حيث من يمكن أن نجدهم. في معظم الوقت يتعلق الأمر أن تستثمر معارف التطبيقيون الخصبة من أجل هذا العلم. علاوة على ذلك، سيكون لنا مهمة جمع واستغلال الوثائق المتاحة وغير متجانسة. في هذا الهدف، من أجل استغلال علميا الأرشيف الدولي للعمل لجنيف Genève الذي هو بشكل خاص غني بوسائل السوسيولوجية مهمة، فرعية لمعهدنا الذي سيؤسس بجنيف. طوماس M. Thomas المدير، لـــT. B.I.، رحب بخطتنا وأبدى دعما بشكل ودي. لكل هذه الخطوات يضاف كذلك الدراسة المنهجية للمخطوطات العلمية المتاحة والتي ظهرت بخصوص هذا الموضوع.

كل واحدة من هذه المناهج مأخوذة على حدة تبقى في غير كفاية تماما، جميعها يمكن ربما أن تصبح خصبة من أجل الإشكالية العامة بعد سنوات من الصبر الطويلة للأبحاث، إذا كان المساهمين الدائمون من زاوية أخرى في استخدامهم المستمر للوسائل قادرين على أن يبنوا وجهة نظر ليست حسب رغباتهم، لكن حسب الأهداف، إذا ... تماما عن كل نوع من تغيير المجتمع وإذا كان من الممكن الاحتفاظ بالنسبة الموحدة حول سؤال التحجر الدغمائي أو العزف داخل التجريبية التقنية.

الآن أصل الخلاصة. ضمن مهام المعهد، لم يكن من الممكن لي أن أوصف عمل البحث الجماعي الذي يجب التركيز عليه خلال سنوات البحث المقبلة. فضلا عن ذلك، يجب أخذ بعين الاعتبار تطوير نشاط بحث مستقل من طرف المساهمين الخاصين في المجالات النظرية الاقتصادية، ولتاريخ الاقتصادي، ولتاريخ الحركة العمالية. قبل اهتمامها في نفس الوقت بالأهداف البداغوجية pédagogiques للجامعة، يعود إلى المعهد مهمة تنظيم بشكل منتظم مؤتمرات، أعمال تطبيقية وعروض متخصصة. يجب عليها أن تشكل إضافة لنشاط التعليم للجامعة، في إطار تدخل أعمال المعهد، تنقل المكتسبات وتمنح تكوين الذي يطابق احتياجات البحث الاجتماعي الموجه فلسفيا بالمعنى الذي قد عرضه.

لم استطع سوى الإشارة إلى جميع هذه المهمات الخاصة، من جهة أخرى، وأخشى أن الموجز الصغير الذي أعطيته عن هذه التفاصيل أن يمحي نوعا ما ذكرى ما هو أساسي. هكذا هذا المؤتمر أصبح في حد ذاته رمز الصعوبة فيما يخص الفلسفة الاجتماعية، الصعوبة المرتبطة بالتداخل لما هو كلي وما هو خاص، للمشروع النظري والوجود المنعزل. من وجهة نظر هذه، إنني على يقين من عدم كفاية العرض الذي قدمته. لكن، إذا أمكنني أن آمل بأنكم تابعتموه بصبر، أمل كذلك في حسن إرادتكم وفي ثقتكم في العمل في حد ذاته. كان كارل غورنبرغ قد أشار حين تدشين المعهد بأن كل واحد في عمله العلمي مجبرا باندفاعاته الفلسفية. لا يمكن للاندفاع الفلسفي القائم لهذا المعهد أن يكون الإرادة الصلبة للخدمة بدون أدنى تحفظ للحقيقة. "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com